تفسير ابن كثير

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير قال ا تعالى : { إذ قالت الملائكة يا مريم إن ا يبشرك بكلمة منه } أي بولد يكون وجوده بكلمة من ا أي يقول له : كن فيكون وهذا تفسير قوله : { مصدقا بكلمة من ا } كما ذكر الجمهور على ما سبق بيانه { اسمه المسيح عيسى ابن مريم } أي يكون مشهورا بهذا في الدينا ويعرفه المؤمنون بذلك وسمي المسيح قال بعض السلف : لكثرة سياحته وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما وقيل : لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برىء بإذن ا تعالى وقوله : { عيسى ابن مريم } نسبة إلى أمه حيث لا أب له { وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين } أي له وجاهة ومكانة عند ا في الدنيا بما يوحيه ا إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه ا به وفي الدار الاخرة يشفع عند ا فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات ا وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله : { ويكلم الناس في المهد وكهلا } أي يدعو إلى عبادة ا وحده لا شريك له في حال صغره معجزة وآية وفي حال كهولته حين يوحي ا إليه بذلك { ومن الصالحين } أي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح قال محمد بن إسحاق : عن يزيد بن عبد ا بن قسيط عن محمد بن شرحبيل عن أبي هريرة قال : [قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما تكلم مولود في صغره إلا عيسى وصاحب جريج] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعني المروزي حدثنا جرير يعني ابن حازم عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال [لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر] فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن ا D قالت في مناجاتها { رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ } تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج ولست بغيا حاشا ؟ فقال لها الملك عن ا D في جواب ذلك السؤال { كذلك ا يخلق ما يشاء } أي هكذا أمر ا عظيم لا يعجزه شيء وصرح ههنا بقوله : { يخلق ما يشاء } ولم يقل : يفعل كما في قصة زكريا بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة وأكد ذلك بقوله : { إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون } أي فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله : { وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر } أي إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كلمح بالبصر